التراث الثقافي Le patrimoine culturel

عناصر المحاضرة 02

- مقدمة

1- التعريف اللغوي للتراث

2- التعريف العام للتراث

3 - مفهوم التراث الثقافي :Cultural heritage

4- أنواع التُّرَاث الثقافيّ

5- الفرق بين الموروث والتراث والأثر

مقدمة:

لاشك أن للتُّراث عدة مفاهيم وتعاريف،ولا يوجد مصطلح موحّد له، شأنه في ذلك شأن معظم مصطلحات العلوم الاجتِماعيّة التي تتأثر بالمتغيرات، والخلفيات العلميّة، والسياسيّة، والفكريّة، ولكنه بلا شك إمتداد السلف في الخلف، واستمرار ما ورثه الأبناء، والأحفاد عن الآباء والأجداد، بمعنى أنه نقطة انطلاق نحو المستقبل.

1- التعريف اللغوي للتراث:

التراث في معالم اللغة العربية وفي الأدب العربي هو:ما ورثناه عن الأجداد،وأصلها من ورث يقول ابن منظور في لسان العرب المحيط،وَرَثَهُ ماله ومَجْدَهُ،"فهو ما يُخَلِفُهُ الإنسان لورثته وأصله ورث،أو وراث،فأُبدلت الواو تاء ، **فالتراث والإرث والورث** مترادفة،وبذلك يتبين أن **التراث في لغة العرب معناه الميراث**،فالتراث الحضاري هو مجموع ما ورثناه عن آبائنا من منجزات ثقافية وحضارية".وقد وردت كلمة التراث في القرآن الكريم للدلالة على الميراث الثقافي والديني في دعاء زكريا عليه السلام، قال تعالى:﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِن آلِ يَعقوبَ وَاجعَلهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ ﴿سورة مريم،الآية 06﴾، فإنه يعني وراثة النبوة والعلم والفضيلة دون المال لأن المال لا قدر له عند الأنبياء. وكذلك قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾﴿سورة فاطر،الآية 32﴾، فالمقصود هنا وراثة الاعتقاد والإيمان بالكتب المنزلة قبل القرآن،وبذلك نجد أن التراث في لغة العرب معناه الميراث ويطلق على وراثة المال والحسب والعقيدة والدين، والتراث الحضاري هو مجموع ما ورثناه

عن الآباء من منجزات ثقافية،وجوهر التراث هو رؤية الوارث لقيمة وجدوى ما ورثه وإدراكه لنفعه وفائدته، ويرى بعض المتخصصين أن التراث: هو كل ما ورث أي صار إلى الوارث أو الوارثين من أشياء عن الأسلاف، سواء كانت مفاهيم أو أفكاراء أو قيماً أو تقاليد أو أدوات أو أوضاعا عمرانية أو أي صورة من صور الفن، مما تركته كل جماعة من كل عصر لمن يأتي بعدها فيكون شاهداً على نظرتها للحياة وموقفها منها. ومن ذلك نجد أن التراث هو وجود مادي من مبانٍ وأدوات وصور وتراث روحي انطبع في الوجدان.

"أما في **اللغة الإنجليزية** فيطلق كلمة التراث على كلمة heritage أي ما يتوارثه الإنسان ويحافظ عليه وينقله لمن بعده، وفي اللغة الفرنسية تعبر كلمة patrimoine عن التراث، وهي كلمة لاتينية مكونة من شقين الأول بمعنى الأب والثاني بمعنى الإرشاد والتعليم والنص، وبالتالي فيو مصطلح يعكس أهمية الأشياء التي تذكرنا بالآباء والأجداد".

2- التعريف العام للتراث:

"**التراث** هو ذلك **المخزون المتميز** الذي يميزه **الثبات والإستمرارية معا**، والذي يجمع في أعطافه القيم الروحية والجمالية، بالإضافة إلى كونه حقيقة مادية قائمة فرضت قبولها وإحترامها،لكونها تسجيلا لثقافة المجتمع ووحدة منهجه وملامحه الإنسانية والفكرية عبر العصور".

والمادة لا تصبح تراثا ما لم تكن قد إكتسبت قيمة نوعية تنعتها بالتراث وهي بالأساس علاقة بين الإنسان والمادة، أي تلك القيم التي يمنحها المجتمع ذاته،وعليه فالتراث المعماري هو "مجموعة من المباني التي أثبتت قيمتها وأصالتها في مواجهة قوى التغيير فصارت مرجعا بصريا على تعامل الإنسان

مع البيئة،وبذلك يصير التراث المعماري هو أحد ركائز الطابع المعماري والهوية للمجتمعات" ، ويشير **المعماري العراقي رفعت الجادرجي** إلى أن "التراث وجود مادي قائم وموقف فكري في آن واحد".

وعلى ضوء ذلك فالتراث يشتمل على جانبين أساسيين هما:

- **الجانب الأول(الماديات):** وتتمثل في الآثار عموما،وهي الأعمال والأشياء التي وصلت من الزمن الماضي ، وتتميز بقيمة فنية أو تاريخية أو علمية أو دينية،أو نحو ذلك.

- **الجانب الثاني(المعنويات):** وتتمثل في الثقافة العامة بمعناها الشامل ، كالأفكار والمُعتقدات والأعراف والعادات"(محمد،عبد الفتاح إسماعيل،2000،ص66)..

كما أن هناك من يرى التراث:على أنه : كل ما خلفته الحياة البشرية والأجيال السابقة للأجيال التالية والمتعاقبة من الناحية العلمية والتي يطلق عليها التراث الثقافي، فهو كل مورد تاريخي له قيمة تاريخية أو ثقافية أو معمارية أو سياسية أو فنية أو رمزية أو غيرها، ويشمل الثقافة التقليدية والموارد المادية والمعنوية وله أبعاد جغرافية واجتماعية ويمكن أن يكون التراث منقول أو غيرمنقول(.المركز الدولي لدراسة حفظ وترميم الممتلكات الثقافية ،2005).

وقد عرف المشرع الجزائري التراث في نص المادة 02 قانون رقم 98 - 04 مؤرخ في 20 صفر عام 1419 الموافق 15 يونيو سنة 1998، يتعلق بحماية التراث الثقافي كالتالي:

... (يعُد تراثا ثقافيا للأمّة في مفهوم هذا القانون جميع الممتلكات الثّقافية العقاريةٌ، والعقارات بالتخصيصٌ والمنقولة ،الموجودة على أرض عقارات الأملاك الوطنيةٌ وفي داخلها ، المملوكة لأشخاص

طبيعيين أو معنويين تابعين للقانون الخاص والموجود كذلك في الطبقات الجوفيةٌ للمياه الداخلية والإقليميةٌ الوطنيةٌ الموروثة عن مختلف الحضارات المتعاقبة منذ عصر ما قبل التاريخٌ الى يوٌمنا هذا).

3 - مفهوم التراث الثقافي:Cultural heritage

لاشك أن للتّراث عدة مفاهيم ، وتعاريف،ولا يوجد مصطلح موحّد له،شأنه في ذلك شأن معظم مصطلحات العلوم الاجتِماعيّة التي تتأثر بالمتغيرات، والخلفيات العلميّة، والسياسيّة، والفكريّة، ولكنه بلاشك إمتداد السلف في الخلف، واستمرار ما ورثه الأبناء، والأحفاد عن الآباء والأجداد، بمعنى أنه نقطة انطلاق نحو المستقبل(سيد،2010،ص111)، فالتُّرَاث هو كل ما صار إلى الوارث، أو الموروث عن الأسلاف من أشياء ذات قيمة، وسمات أصيلة، كما أنه مجموعة الآراء، والأنماط، والعادات الحضاريّة المتنقلة من جيل إلى أخر.

لقد تغير مصطلح «التراث الثقافي » في مضمونه تغيراً كبيراً في العقود الأخيرة، ويرجع ذلك جزئياً إلى الصكوك التي وضعتها اليونسكو،ولا يقتصر التراث الثقافي على المعالم التاريخية ومجموعات القطع الفنية والأثرية، وإنما يشمل أيضا التقاليد أو أشكال التعبير الحية الموروثة من أسلافنا والتي ستنقل إلى أحفادنا، مثل التقاليد الشفهية ، وفنون الأداء ، والممارسات الإجتماعية ،والمناسبات الإحتفالية،والمهارات المرتبطة بإنتاج الصناعات الحرفية التقليدية.

4- أنواع التُّرَاث الثقافيّ:

في إطار الاهتمام بدراسة التُّرَاث بغرض حمايته قامت المنظمات والهيئات المختصة ومن أبرزها

منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، أو ما يعرف اختصاراً باليونسكو UNESCO ،بتصنيف التُّرَاث الثقافيّ لعدة أقسام ، هي كالآتي:

أولاً :التُّرَاث الثقافيّ المادي:

"يطلق التراث المادي الثقافي على كل مايدركه المرء بحواسه من قصور ومعابد وقلاع ونقوش ومسلات ومنشآت عسكرية ونقوش حجرية ،والتي مرّت عليها فترة زمنية معينة،وتنسب إلى عصور وحضارات عريقة موغلة في التاريخ والقدم،وقد تكون هذه المباني والمنشآت قائمة كليا أو جزئيا".

"ويعتبر التراث الثقافي المادي موردا فريدا من نوعه وغير قابل للتجديد، وذا قيمة ثقافية وعلمية و روحية و دينية، ويشمل أشياء منقولة و ثابتة، وكذلك مواقع، إضافة إلى مجموعات هياكل، أيضا سمات وخصائص طبيعية، وكذلك مناظر طبيعية ذات قيمة أثرية أو حفرية أو تاريخية أو معمارية أو دينية أو جمالية أو غيرها من القيم الثقافية"(المذكرة التوجيهية الثامنة التراث الثقافي،2010).

احصون الإسطوانية بقرى بني مالك (المفتول).

قرية خاشر بالمملكة العربية السعودية.

"أما التراث المادي الطبيعي فقد حددته اتفاقية حماية التراث الثقافي والطبيعية عام 1982

ووصفته بالمعالم الطبيعية المؤلفة من التشكيلات الفيزيائية أو البيولوجية،أو مجموعة من التشكيلات التي لها قيمة عالية واستثنائية من وجهة النظر الجمالية أو العلمية ومنها المحميات الطبيعية والتشكيلات الرسوبية "(اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعية ،المؤتمر العام لمنظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة).ويشمل التُّرَاث الثقافيّ المادي، القطع الأثرية، والمعالم والمباني، والأعمال، واللوحات الفنية والزخارف،ويُمكِنْ تقسيمه إلى:

1- تُرَاث ثابت: كالمباني، والمواقع الأثرية، والنقوش، و الرسوم الصخرية، والمتاحف ،والمراكز التاريخية **ويشمل :**

- التُّرَاث الأثري Archaeological Heritage

وهو يحتوي على الأنشطة الإنسانية كافة، الموجودة ضمن المواقع الأثرية، مع كل ما تحتويه من مواد ثقافيّة منقولة

- التُّرَاث العُمْرَاني Urban Heritage

"يُعدُّ التُّرَاث العُمْرَاني والمِعْمَاري عنصراً مهماً من عناصر التُّرَاث الثقافيّ، وهو من أهمَّ المصادر المادية التي تعبر عن النشاطات الإنسانية، الاجتِماعيّة، والثقافيّة لأناس عاشوا ومارسوا النشاطات في عهودٍ سابقة،وذلك من خلال تتبع الحياة الإنسانية،والاجتِماعيّة وتطورها".

وحسب ميثاق المحافظة على التراث العمراني في الدول العربية وتنميته الذي صدر عام 2003،

فإن **التراث العمراني** هو كل ما شيده الإنسان من مدن وقرى وأحياء ومباني وحدائق ذات قيمة

أثرية او معمارية أو عمرانية أو اقتصادية أو تاريخية أو علمية أو ثقافية أو وظيفية، ويتم تحديدها وتصنيفها وفقا لما يلي:

أ- المباني التراثية، وتشمل المباني ذات الأهمية التاريخية والأثرية والفنية والعلمية والإجتماعية، بما فيها الزخارف والأثاث الثابت المرتبط بها والبيئة المرتبطة بها.

ب- مناطق التراث العمراني، وتشمل المدن والقرى والأحياء ذات الأهمية التاريخية والأثرية والفنية والعلمية والإجتماعية بكل مكوناتها من نسيج عمراني وساحات عامة وطرق وأزقة وخدمات تحتية وغيرها.

ج- مواقع التراث العمراني، وتشمل المباني المرتبطة ببيئة طبيعية متميزة على طبيعتها أو من صنع الإنسان.

كما اصطلح علي" أن التراث العمراني هو مجموع المباني والمنشآت والتشكيلات ونتاج العلاقات المركبة بين المباني والفراغات والمحتوي والبيئة التي استمرت وأثبت أصالتها وقيمتها في مواجهة التغير المستمر والمتصل أحيانا وغير المتواصل أحيانا أخرين واكتسب القبول العام والاحترام.

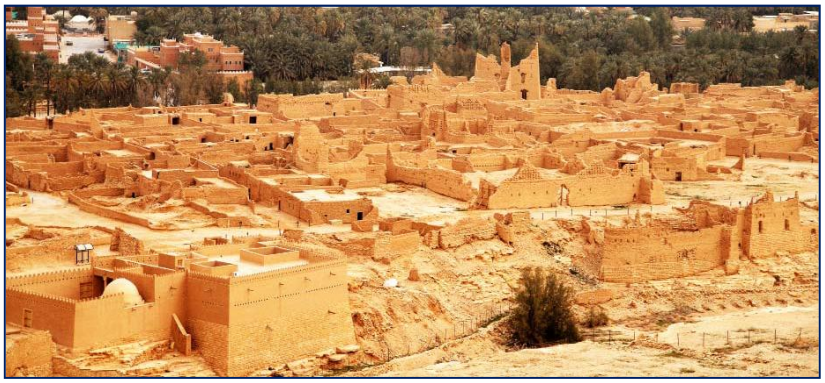

تراث الدرعية بالمملكة العربية السعودية

كما يعرف أيضا على أنه:"الإنعكاس الصادق لظروف بيئية واجتماعية لمجتمع ما في زمن ما ووسيلة للتعرف على حضارة الشعوب ومدى رقيها، كما يعرف على انه التطور الحضاري للمجتمع والدولة من نواحيه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتقنية، ويستدل عليها من الشواخص والمباني والمواقع والمدن التي تركوها ".

- التراث المعماري: Architectural Heritage

ويقصد به الآثار ومجموعات المباني والمواقع ذات القيمة التاريخية والجمالية والأثرية ...)،"وحسب تعريف الميثاق الأوروبي للتراث المعماري **The European Charter of the Architectural Heritage** عام 1975 ، فهو لا يقتصر علي الآثار الهامة فقط ولكن يشمل أيضا مجموعة من المباني الأقل أهمية في المدن القديمة والقرى المميزة في بيئتها الطبيعية والتي هي من صنع الإنسان، كما أعتبر التراث المعماري جزء لا يتجزأ ولا ينفصل من التراث الثقافي والحضاري للعالم كله وأنه لا يقتصر على المباني ذات القيمة المتميزة ومحيطها المباشر، وإنما يشتمل أيضا علي المناطق والمدن والقري ذات الرؤية للمحتوى البيئي المتاخم له ويعد ضمن هذا المحتوى عصبا محوريا حيث أنه قيمة غير قابلة للاستبدال أو الاسترجاع روحياً وثقافياً واجتماعياً واقتصادياً، كما أن كل مجموعة من أبنية تلك الموروثات إنما تعبر عن جيل تاريخي يختلف عن الآخر كمصدر للإلهام أوالمعرفة أو التفسيرات ولهذا فإن فقده أو تدميره إنما هو فقد لشيء غال لا يمكن استعاضته حيث لا مجال لعمل شيء جديد الإهتمام التاريخي، كما أنه امتداد للتاريخ يساعد في فهم الحياة بتسلسل تاريخي ، فلابد أن تمتد يحمل خصائصه وعبقه التاريخي ، كما أنه يمثل الدليل الحي والملموس والمادة العلمية اللازمة

لتفسير ومقارنة الأشكال والأساليب وتطبيقاتها.

عمارة شابام بمدينة حضر موت (اليمن).

عمارة صنعاء باليمن

"وتعريف التراث المعماري في إعلان أمستردام 1975 م، ذكر أنه جزء لا ينفصل عن التراث الثقافي الحضاري للعالم كله، وأنه لا يقتصر على المباني التاريخية ذات القيمة المتميزة ومحيطها المباشر، وإنما يشتمل أيضا على المناطق والمدن والقرى ذات الإهتمام التاريخي"."وبالرجوع لإتفاقية حماية الموروث المعماري لأوروبا، فقد استخدمت لفظة الموروث المعماري لتتضمن أياً من:

أ- الآثار (Monuments) :

وهي كل الأبنية والمنشآت التاريخية التي تهتم بالنواحي الفنية أو العلمية أو الاجتماعية أو التقنية بما يتعلق بتلك الأبنية من تجهيزات أو تركيبات ... إلخ.

أسواق بابل بالعراق

ب- مجموعات الأبنية (Groups of Buildings)

وهي مجموعات الأبنية المتجانسة سواء بالريف أو الحضر والتي تهتم بالنواحي الفنية أو العلمية أو الاجتماعية أو التقنية والمتصلة معا لتكوين وحدات ذات خصائص مشتركة

ج- المواقع التاريخية(Sites) : سواء أكانت طبيعية أو من صنع الإنسان لتكون وحدة طبوغرافية ذات خصائص محددة وتهتم بالنواحي الفنية أو العلمية أو الاجتماعية أو التقنية ... إلخ".

كما يعرف على أنه "التراث الحضاري لمجتمع ما باعتبار أن العمارة مرآة لحضارة هذا المجتمع وتجسيد لها، وهو وثيقة تاريخية وفنية وهو حقيقة ثقافية، وتتعدد مجالات التراث المعماري-الحضاري وتتمثل في:

أ- المحيط البيئي للملكية (التراث العمراني).

ب- المبنى أو الصرح ذاته (التراث المعماري).

ج- الآثار والمنقولات الداخلية والخارجية.

2- تُرَاث منقول:

كالقطع الأثرية المتحفية، والعُملات، والأختام المحفورة، واللوحات، والرسوم، والصور المنحوتة،أو المنقوشة، والمخطوطات، والطوابع، ويشمل إلى جانب ذلك الأتي:

- التُّرَاث الوثائقي Documental Heritage

يُمثِل التُّرَاث الوثائقي الثقافيّ، والذي يرسم صورة للتطور الفكري للمجتمع الإنساني، ويضم التُّرَاث الوثائقي كافة الأعمال سواء المكتوبة، أو المطبوعة بمختلف اللغات، كما هو الحال في المخطوطات.

ثانياً :التُّرَاث الثقافيّ غير المادي

"التراث المادي هو تراث غير ملموس ،ويشمل كافة التقاليد وأشكال التعبير الشفهي،وأنواع الفنون والممارسات الإجتماعية،والطقوس والإحتفالات،والمهارات المرتبطة بالفنون الحرفية التقليدية،ومن أنواع التراث غير المادي الذي يشكل ملامح الثقافة العامة للمجتمع :اللغة الناقلة للتراث ،الحكاية والأمثال والأدب الشعبي،العادات والتقاليد شاملة الممارسات الإجتماعية والطقوس والأعياد،المعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والعالم"(سلامة،سالم سالمان،2007،دون صفحة)، كما أنه يُقصد به" مُجمل الإبداعات الثقافيّة سواء التقليدية، أو الشعبية المنبثقة عن جماعة، والمنقولة عبر التقاليد، وهي على سبيل المثال اللغات، والموسيقى، والأدب الشفهي، والفنون الشعبية، والتعبيرية "(علي حمزة،الخفاجي،2014،ص22)

وتنص الفقرة الأولى من المادة 02 من الاتفاقية المتعلقة بصون التراث الثقافي غير المادي التي اعتمدتها منظمة اليونسكو 2003 على أن المقصود بعبارة التراث الثقافي غير المادي " الممارسات، والتصورات، وأشكال التعبير، والمعارف والميا ا رت وما يرتبط بيا من آلات وقطع- ومصنوعات وأماكن ثقافية- التي تعتبرا الجماعات والمجموعات، وأحيانا الأفراد، جزءا من تراثهم الثقافي، وهذا التراث

الثقافي غير المادي المتوارث جيلا عن جيل تبدعه الجماعات والمجموعات من جديد بصورة مستمرة بما يتفق مع بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة وتاريخيا، وهو ينمي لديها الإحساس بالهوية والشعور باستمراريتها، ويعزز من ثم احترام التنوع الثقافي والقدرة الإبداعية البشرية."..، وعليه، يتجلى التراث الثقافي غير المادي في مجالات متعددة من بينيا التقاليد وأشكال التعبير الشفهي، بما في ذلك اللغة كواسطة لمتعبير عن هذا التراث، والفنون والتقاليد وأداء العروض، والممارسات الاجتماعية،والطقوس والاحتفالات، والمعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون، و الممارسات المرتبطة بالفنون الحرفية التقليدية"(المادة 02 الفقرة03 من الإتفاقية المتعلقة بصون التراث الثقافي غير المادي،2003)، وقد ظهر مفهوم الموروث الثقافي غير المادي بداية سنة 1990 ، بعد التوصيات التي قدمت لليونسكو سنة 1989 حول حماية الثقافات التقليدية، في وقت يتجه التراث العالمي أساسا إلى الجوانب المادية للثقافة. وفي عام 2001 م قامت اليونسكو بالتحقيق لدى الدول والمنظمات الدولية والمنظمات غير الحكومية بهدف تحديد مفهوم التراث اللامادي، وفي سنة 2003 تبنت الدول الأعضاء في اليونسكو إتفاقية لصوف وحماية التراث الثقافي، وقعت المصادقة عليها في 20من حزيران 2007 من قبل أكثر من 78 دولة" ،**ويشمل التراث الثقافيّ غير المادي:**

- التُّرَاث الشعبي (الفولكلور) (Traditional Heritage Folklore)

يُشكِّل جزءاً من التُّرَاث العالميّ للبشرية؛ وتُعرِّفه منظمة اليونسكو بأنه "إبداع نابع من مجتمع ثقافيّ وقائم على التقاليد التي تُعبِّر عنه جماعة أو أفراد معترف بأنّهم يُصوّرون تطلعات المجتمع

وذلك بوصفه تعبيرًا ملائماً عن الذاتية الثقافيّة والاجتِماعيّة لذلك المجتمع، وتتناقل معاييره وقيمه شفهيًّ، أو عن طريق المحاكاة، أو بطرق أخرى".

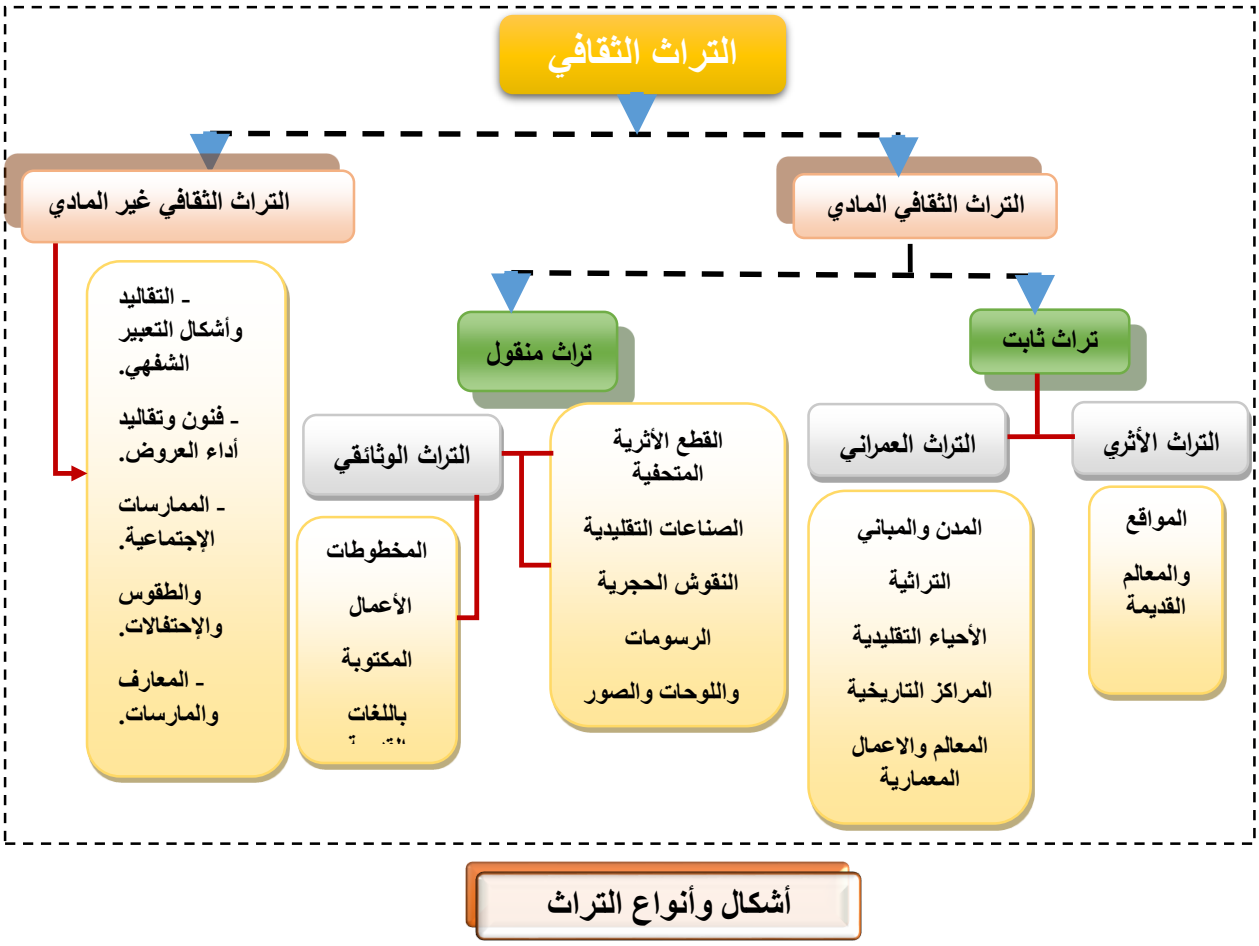

أشكال وأنواع التراث

5- الفرق بين الموروث والتراث والأثر:

إذا ما لاقى هذا الموروث الاهتمام الكافي فإنه يتحول إلى تراث يلقى الحرص والعناية للحفاظ عليه ونقله بصورة جيدة إلى الأبناء والأحفاد بما يضمن استمراريته عبر الحقب المختلفة. أما إذا حدث وصادف هذا التراث– نتيجة الأبحاث التاريخية أو الاكاديمية وتوفر قيم متفردة به– الاهتمام الرسمي المقنن في صورة تسجيل وتوثيق وتصنيف، فإنه يتحول إلى الأثر بمعناه السابق ايضاحه.

مما سبق يمكن ايجاز هذه العلاقة المتشابكة في صورة تتابعية سببية: